الدين واليات الضبط الاجتماعي

دراسة تحليلية في دور الدين في الضبط والبناء الاجتماعي

المدرس الدكتور
فلاح جابر جاسم الغرابي

ملخص البحث

إن البحث الموسوم الدين واليات الضبط الاجتماعي " يتضمن التعريف بماهية الدين أولاً وكذلك دور الدين في عملية الضبط الاجتماعي و أهم التعاريف التي عرف بها وأهمها :

" انه العلاقة الروحية بين الإنسان وبين ما يعبد وممارسة الطقوس والشعائر المتعلقة بتلك العبادة " كما يدور البحث حول التعريف بأهم آراء علماء الإنسان وعلماء الاجتماع حول المعتقد الديني إبتداءاً من رأي أبن خلدون مروراً بعلماء الاجتماع أمثال أوجست كومت ودور كهايم وكذلك علماء الإنسان مثل مالينوفسكي وراد كليف بروان وبروست و روبرتسن سمث وانتهاء بآراء سوركت وماركس وماكس فيبر وغيرهم . كما يهتم البحث بعرض مسهب لأهم الوظائف التي يؤديها الدين في المجتمع والتي تاتي في مقدمتها عملية الضبط الاجتماعي التي تحكم سلوك الأفراد وتوجهها الوجه الصحيح التي يريدها المجتمع ودور الوازع الديني في ضبط الحياة الاجتماعية وكذلك آليات الدين في الضبط الداخلي والخارجي وكذلك إشاعة روح التكامل والتعاضد بين الأفراد ، وكذلك محاربة الجريمة والفساد والانحلال الأخلاقي إلى غيرها من الوظائف التي تعطي الدين فاعلية مؤثرة في ضبط المجتمع وتماسكه . وقد استخدم في هذا البحث المنهج والوصفي التحليلي ، أي أن البحث عبارة عن دراسة نظرية تحليلية للنسق الديني ضمن سياق النسق الكلي وفق تصور وظيفي . وقد استنتج الباحث من

خلال هذه الدراسة المتواضعة أن الحاجة إلى الدين لا تزال قائمة وبالفاعلية نفسها التي دفعت الإنسان البدائي للتمسك بالدين رغم طغيان الجانب المادي في الوقت الحاضر وهذا ما أكده جملة من علماء الإنسان وعلماء الاجتماع مثل ماكيفر وسوركن وغيرهم ممن دعوا إلى التشديد على التمسك بالدين . وبالتالي أجاب الباحث عن السؤال الآتي: هل كل ما طغت الجوانب المادية على الجوانب اللامادية في الوسط الاجتماعي التقليدي تتعرض القيم الدينية للتلاشي والزوال؟ وكان الجواب بالنفي اعتماداً على جملة من الآراء والأفكار التي طرحت بهذا الخصوص من قبل علماء الإنسان وعلماء الاجتماع ، أي أن التمسك بالقيم الدينية ظلت تمارس تأثيرها في الأفراد وستظل الحاجة قائمة إلى الدين ما دامت أسرار الكون خافية عليه ومادام افراد المجتمع يرون بان الدين اكبر وافضل وسيلة لتنظيم المجتمع وتماسكه وان للدين دور فعال في عملية الضبط الاجتماعي .

المقدمة

عندما وطأت قدم الإنسان الأرض واجهته صعوبة توفير الغذاء وكذلك حاجاته المعيشية الأخرى ، وكان يشعر بالألم حين لم يستطع أن يلبي تلك الحاجات كالجوع والعطش ، فكان عليه أن يؤمن الحصول على ما يلبي تلك الحاجات من خلال التقرب من المسببات التي تعيق حصوله على سد رمقه وتحقيق رغباته البيولوجية والنفسية الأخرى . فحاول أن يقدم إليها القرابين ويطلب منها الرحمة والمغفرة والسماح . فكانت ظواهر الطبيعة مثل البراكين والزلازل وكذلك بعض الأجرام السماوية مثل الشمس والقمر والنجوم هي أغلب المسببات التي حاول الإنسان القرب إليها . وكما في قوله تعالى : ((فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر)) سورة إبراهيم آية (٧٨) .

لقد أعتقد الإنسان أن ظواهر الطبيعة تتحكم بوجوده وتتلاعب بمصيره . إلا أن تلك التصورات كانت بداية المعتقد الديني . ولم يكن ذلك الاعتقاد موجهاً نحو قوى محددة مشخصة ، بل كانت قوى غير معروفة تسمى عالم ما فوق الطبيعة Metaphisyical .

وفي هذا الصدد بين (لومب) في كتابه ((أصل المدنية)) The origin of civilization تطور مراحل الفكر الروحي بأن المجتمعات البشرية السحيقة افتقرت إلى الأديان وأنها مع تطورها التاريخي صارت تستوعب الظواهر الروحية والغيبية . وقسم مراحل التطور الديني إلى : أولاً : مرحلة الجهل الروحي أي غياب العقائد الروحية ، وثانيا : المرحلة السحرية ، وثالثا : مرحلة عبادة المظاهر الطبيعية والطوطمية والحيوانات وغيرها ، ورابعاً : المرحلة الشامانية Shamanism التي اتسمت بعبادة المجتمعات السالفة للآلهة مع الاعتقاد بخضوع الإنسان لسيطرتها وعدم خضوعها لسيطرته . وخامساً المرحلة الوثنية حيث سادت عبادة الأصنام حسب رأي (لومب) واتسمت بتشبيه المجتمعات القديمة للآلهة والبشر . وسادساً : المرحلة الوجدانية حيث اعتقدت المجتمعات بإله واحد . (٣١،ص[١٧١]).

بعد أن استقر الإنسان بفضل اكتشاف النار والزراعة وما رافق ذلك من تطور في الفكر البشري ،

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

وكذلك تطور الأساليب المتبعة في تفاصيل حياته اليومية ، وما رافق ذلك من مشكلات اجتماعية نتيجة لتعقد الحضارة . كل ذلك كان سبباً لحدوث الصراع بين البشر. وقد أدى ذلك إلى حدوث الفوضى والإرباك وتفاقم الجرائم ، حيث تطلب كل ذلك من البشر أن يصلحوا حالهم على مستوى الفرد والمجتمع ، فظهر الأنبياء والمصلحون بعد ظهور الأديان السماوية التي تمثلت بالدين اليهودي ، ثم المسيحي ، وبعد ذلك ظهور الدين الإسلامي حيث تكفلت هذه الأديان بتعديل مسار البشرية وإحداث التوازن المطلوب بين مصلحة الإنسان الفرد وبين المصلحة العامة ، أي مصلحة المجتمع بشكل عام .

لقد كان الدين العنصر الحضاري الفاعل بين عناصر الحضارة الأخرى في أدائها لمهامها ضمن النسيج الاجتماعي الكلي . ولكن فاعلية النسق الديني ظلت مرهونة بتفسير الجماعات الإنسانية لمعاني قيم كل دين وغاياتها ، وكان الاختلاف في التفسير سبباً في انقسامها وافتراق الجماعات الإنسانية عن بعضها ، وفي ذلك يقول (ول ديوارنت) : ((أن كل الجماعات البشرية تكاد تتفق في عقيدة كل منها بأن سائر الجماعات أحط منها . (١٤، ص[٢٢])

لذا فأن الأديان في الوقت الذي تكون فيه دليل الإنسان إلى قيم العدل والمساواة وتحريره من العبودية ، فأنها تتحول إلى إيديولوجيات تدفع الإنسان لتحقيق مآربه الشخصية والتسلط على الناس باسم الدين . فلم تكن هيمنة الكنيسة في أوربا في القرون الوسطى ومحاكم التفتيش إلا نموذجاً سيئاً لهذا الذي نقوله ، فقد أجرت الدماء أنهاراً وكان أول ضحاياها المسلمين في اسبانيا حيث سفكت دماء آلالاف من المسلمين بعد أن انتصر عليهم المسيحيون ، وكان التنصر يفرض عليهم فرضاً واقتيد إلى النار في اسبانيا وحدها أكثر من واحد وثلاثين ألفاً وحوكم من قبل تلك المحاكم سيئة الصيت كل من اتهم بالإلحاد والهرطقة . (١٤،ص[٢٢٩]) .

وفي تلك العصور(الوسطى) سيطرت الكنيسة على الفكر الاجتماعي وأصبح الإطار اللاهوتي النطاق الضيق لحركة الفكر ، فكان الوجود كله يدور حول الخلاص من الخطيئة الأصلية ، ونظر الفلاسفة إلى أبناء المجتمع باعتباره خلقاً سماوياً لا تستطيع قوة بشرية أن تحدث فيه تغيراً وان تتدخل في توجيهه ، فالسماء هي التي خلقت الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فهي أنظمة أزلية خالدة لا يمكن تتبدل بعمل الإنسان وستبقى إلى أبد الآبدين . (٢٥ ، ص[٦١]) ، وعليه فقد أهمل البحث في الطبيعة في العصور الوسطى تلك العصور التي ساد فيها التدين الأعمى ، فلم يفكروا إلا في أنفسهم وعلاقتها بالله (١٥،ص[٥٢]) . إلا أن عصر النهضة الأوربية تميز بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا على الرغم من تباين آرائهم عل مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها ، وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه جديد لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر ، وقد تبلور هذا الاتجاه (المذهب العلمي) في الدراسات التجريبية والرياضية التي ظهرت في أعمال

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

بعض علماء القرن السابع عشر من أمثال (فراستين بيكون) F.BECON ورينيه وديكارت R.DECARTES واسحق نيوتن وغيرهم حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان على أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي والمنهج التجريبي ومعرفة القوانين التي تحكم مسيرة التطور الإنساني والتقدم الاجتماعي .

وجاء كشوف كولمبس وفاسكودي كاما وماجلان بمعلومات كثيرة عن شعوب كانت بمعزل عن المسيحيين وكان لها أديان وأخلاق ، فظهرت فكرة الدين كالطبيعي والاخلاق الطبيعية وهكذا بدأت تتكون في الغرب المسيحي نظرية جديدة في الإنسان تقنع بالطبيعة وتستغني عما فوق الطبيعة . (٤، ص[٢١]) .

لذا فقد قسمنا البحث إلى مباحث ستة ، أختص الأول منها بتحديد المفاهيم والمصطلحات . أما المبحث الثاني فقد تناول عناصر البحث اما المبحث الثالث فقدطرحت فيه أهم الآراء والأفكار التي طرحت من قبل علماء الإنسان وعلماء الاجتماع حول المعتقد الديني وبواعثه لدى الإنسان .أما المبحث الرابع فأختص في ذكر الدين والبناء الاجتماعي اما المبحث الخامس فقد تناول الدين والضبط الاجتماعي في حين اختص المبحث السادس في الدين واليات الضبط الداخلي والخارجي .

المبحث الاول: تحديد المفاهيم والمصطلحات

يمثل المفهوم الذي يرد في عنوان البحث او في ثناياه المفتاح الرئيسي لفهم تفاصيل وبالتالي فان تحديد المفهوم خطوة اولى مهمة من خطوات البحث العلمي لما يترتب عليه من توافق في فهم مايطرح الباحث للقارئ وعليه يتطلب من الباحث الاجتماعي ان يحدد بدقة دلالات المفاهيم ومعانيها لان بعض المفاهيم لها صفة تجريدية (ABSTRAC) وهي عبارة عن اراء او مجموعة معتقدات حول شئ معين اواسماء تطلق على الاشياء والتي هي من صنف واحد او الاسماء التي تطلق على الصنف نفسه ، كما ان المفاهيم ليست افكاراً ثابتة وغير قابلة للتغيير والتحول انما هي أفكار ذات طابع ديناميكي (متغيرة) تتغير تبعاً لتغير العصر وتبدل ظروفه الموضوعية وأيديولوجيته الحياتية (١٢ ،ص[٢٢]) وعليه فقد وجد الباحث نفسه ملزماً بتوضيح المفاهيم التي وردت في البحث وهي :

اولا- الدين Religion

الدين لغةً كما جاء في لسان العرب هو الطاعة ، ومن الدين جاءت لفضة(ديان) وهي من اسماء الله ومعناها الحاكم القاضي والقهار وفيذلك يقول (ذي الاصبغ العدواني) :((لاه ابن عمك ، لاافضلت في حسب فينا ولاانت دياني فتخزيني)) ويوم الدين هو يوم الجزاء والحكم حاكم ((قاضٍ)) ومجاز يفرض الجزاء في يوم الحساب وكما جاء في قوله تعالى ((وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين)) (الحجر اية [٣٥]) والدين (بالكسر) العاده والشان و(دانه) يدينه (ديناً) اذله واستعبده وفي الحديث الشريف ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) (٢٤،ص[٢١٨]).

اما مفهوم الدين (اصطلاحاً) وهو ماأصطلح اهل كل دين عن دينهم ويعتقدونه ويكون تعريفاً واضحاً وثابتاً ومفهوماً بقدر بقدر ماتكون هذه الديانة واضحة ومفهومة التي يعبر عنها هذا التعريف .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

عرف الدين كما ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية للدكتور احمد زكي بدوي بانه ((مجموعة من المعتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظاماً متصلاً ويتعلق في الغالب بعالم مابعد الطبيعة وممارسة شعائر وطقوس مقدسة والاعتقاد في قوة روحيةعليا وقد تكون هذه القوة متكررة او احادية)). (٩، ص[٣٥٣])

الدين اذن هو نظام اجتماعي يقوم على علاقة الانسان بكائن او كائنات او قوى فوق الطبيعية او آله او آلهة يؤمن بها ويعبدها عن طريق وسطاء يعتقد انهم يمثلونه او يمثلونهم ، ويتجسد الدين بنسق سلوكي وقانون اخلاقي ،كما تاخذ العلقة بين العابد والمعبود شكل نسق اجتماعي مقرر ونمط ثابت ، وان المجتمع يرى ان دينه هو الدينم القويم و السلوك الامثل (١٨، ص[٨١٦]) .

وعرف الدين من قبل مجموعة من علماء الأنثروبولوجيا الأوربيين بانه ((العلاقة الروحية والعاطفية بين الانسان وقوى مافوق الطبيعة او الكائنات التي يقدم لها العبادات ويقيم لها الممارسات الطقوسية التي تعينه على الاتصال بهذه القوى وتمكنه من ادامة تلك العلاقة التي تصبح مقننة في النظام الاجتماعي (٤٦،ص[٣١٠]).

ويعرف الدين على انه "نسق من المعتقدات والممارسات المباشرة الموجه نحو اهتمامات المجتمع الاساسية والجوهرية ، ويعرف ايضاً بانه مجموعة من النظم الصارمة (٤٥،ص[٣١٠])

وعرفه (كانت) بانه الاعتراف بواجباتنا كاوامر إلهية . ومن قبل قال سقراط "الدين تكريم الضمير النقي للعدالة الإلهية" (١٥،ص[١٧٧]) .

كما عرفه (ما كس ميلر) " الدين محاولة تصور ملايمكن تصوره والتعبير عما لايمكن التعبير عنه " والدين كما يزعم (ماكيز) يفرض قواعد السلوك ، وبهذه الكيفية يتجه نحو التوحيد بينها وبين قواعد الاخلاق التي لاتخرج عن كونها قواعد سلوكية كذلك . (٢٦،ص[٣٣٣])

اما (هيجل) فيرى بان الدين معرفة تكتسبها النفس المحددة بجوهرها كروح مطلقة، في حين يرى (سبنسر) ان الدين هو الاحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر الاسرار .

وقد ياتي الدين بمعنى الحساب وكما جاء في القرأن الكريم "الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين "(الفاتحة أية ٤)"وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين " (سورة الصافات أية ٢) "وان عليك لعنتي الى يوم الدين (الصافات أية ٧٨) "وما دراك ما يوم الدين"

والدين عند الفلاسفة هو الاعتقاد بما وراء الطبيعة ، المقدس الإلهي كما يرتبط بالأخلاق والمؤسسات المرتبطة بذلك الاعتقاد .

ثانيا- الضبط الاجتماعي Social Control

هو مصطلح يستخدم كنايةً عن التاثيرات التي تمارسها الجماعة ومختلف المؤسسات والمنظمات والهيئات مثل المدرسة على سلوك الافراد داخل الجماعة ، فالضبط هو وسيلة من وسائل الضغط لحمل الفرد على اعتناق التقاليد والقيم السائدة في مجتمعه ، وهو محاولة منظمة للسيطرة على افراد الجماعة ، مثلما انه يشير الى التحكم بالعلاقات الاجتماعية والاشراف على انماط السلوك(٢٢،ص[٣٠٨])

كذلك عرف الضبط الاجتماعي على انه عبارة عن

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

القوى التي يمارسها المجتمع على افراده والطرق والمعايير التي يفرضها والاشراف عل سلوكهم واساليبهم في التفكير والعمل وذلك لضمان سلامة البنيان الاجتماعي والحرص على اوضاعه ونظمه والبعد عن عوامل الانحراف والتمسك بالقيم والانظمة والتعليمات المرغوبة والمقبولة لاستمرار نظام المجتمع (٤٣،ص[١٥٩])

كما عرف الضبط الاجتماعي على انه لب عملية التطبع الاجتماعي والمضمون المركز للتنشئة الاجتماعية وانه الظاهرة التي تميز الانسان عن الحيوان(٤٤،ص[١١٥])

المبحث الثاني : عناصر البحث

- مشكلة البحث

يعيش مجتمعنا في العراق مرحلة تغير سريع ، حمل في طياته أصنافا من المتناقضات والمغريات ، ضعفت بموجبها الهوية وزادت الغربة ، وكان لابد من تفعيل خطوط الدفاع لنضمن للمجتمع تحصينه من التصدع والانهيار ليبقى صامداً ومقاوماً أمام ما يجتاحه من تغريب ، ومحتوياً لكل تغير يدعم ويعزز بناء المجتمع .

وتتمثل خطوط الدفاع في أشكال متعددة من الضبط الاجتماعي(رسمية وغير رسمية) ساعدت في تحصين المجتمع ووقايته من ألوان التغيرات وساهمت في تنظيم شؤون المجتمع في احتياجاته ومتطلباته المتغيرة، وتباينت تأثيرات هذه الأشكال على أفراد المجتمع، فتارة تبرز الأشكال الرسمية (القانون، السلطة، اللوائح التنظيمية)، وتارة تستغل من خلال ثغراتها بحكم طبيعة منشأها، وتارة يضعف تأثيرها بغياب رقابة السلطة، أما الأشكال غير الرسمية (الدين، الأعراف والتقاليد، الرأي العام وغيرها) فتنطبق عليها نفس القاعدة في حجم تأثيرها والالتزام بها، فالأعراف والتقاليد تضعف وقد تتغير، كما أن الرأي العام ربما يتأثر بقوة الموجة ويتخذ مسلكا باتجاه الريح بحكم عدم ثبات القاعدة التي تحكمه في أغلب الأحيان.

ولكن ما يستثنى من هذه القاعدة هو الدين تلكم القوة الخفية التي يحملها الإنسان، يظهر أثرها على سلوكه (بأقواله وأفعاله) وعلى التزامه، فيها تكون سيطرة الفرد على أهوائه وغرائزه، وبذلك يتحقق الضبط الذاتي للفرد، مع الإيمان بوجود الرقيب الإلهي الذي لا يغفل ولا ينام، قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق:١٨)

ولأن الضبط لابد أن يتكون أولاً في أعماق النفس من خلال الالتزام الداخلي (انضباط الذات – إحياء الضمير)، حتى يصبح ذا أثر ودلالة على سلوك الفرد، والدين كأحد أشكال الضبط الاجتماعي، يحقق لنا وبفعالية هذا الأثر، ولذا كان لزاماً أن نمنح هذا الشكل حقه من البحث والاهتمام، ولعل ما تعيشه الأمة العربية والاسلامية ومنها العراق في هذا العصر يزيد من حجم الاهتمام بهذا اللون من ألوان الضبط الاجتماعي، كما أننا لا نتحيز إن قلنا أن جميع أشكال الضبط الأخرى تدخل تحت لوائه. أو بمعنى آخر لها أصول تنبثق من الدين وبالذات الدين الإسلامي ولكن قد ترتبط فاعلية الدين ودوره في عملية الضبط الاجتماعي بتفسير الجماعات الإنسانية لمعاني قيم كل

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

ديـن وغاياتهـا . والأديـان في هـذه الحالـة لا تتحمـل وزر هـذا التفسـير ولا يـنم سـلوك إتبـاع ديـن معـين عـن حقيقـة ذلـك الـدين . ولـذا فـان اخـتلاف التفسـير كـان ولا يـزال سـبباً في انقسـام الجماعـات الإنسـانية وافتراقهـا عـن بعضـها . أن هـذا الأمـر في اعتقادنـا هـو الـذي تـدور حولـه مشـكلة البحـث حيـث أن الاخـتلاف في التفاسـير والاجتهـاد في الـرأي وكثـرة الفتـاوى اليـوم هـي مبعـث للانقسـام والتنـاحر بـين الأديـان ومعتقـداتها وحتى بـين المـذاهب والفـرق داخـل الأديـان نفسـها . وأن هـذا التنـاحر يـنعكس على شـريحة واسـعة مـن النـاس وأعني بهـم فئـة الشـباب التي تشـكل نسـبة كبيرة مـن السـكان ، وتتمثـل تلـك المشـكلة في عـزوفهم عـن الـدين وعـدم التمسـك بـه ، ممـا يجعـل المجتمـع يفتقـر إلى أكثـر الضـوابط الاجتماعيـة تـأثير في سـلوك هـؤلاء الشـباب بـالنظر لما للتعـاليم الدينيـة مـن سـطوة وقـوة في تهـذيب وصـقل سـلوكهم وممـا لهـا مـن دور فعـال في عمليـة الضبط الاجتماعي .

– اهمية البحث

تبـرز أهميـة البحـث ((فاعليـة الـدين في عمليـة الضـبط الاجتمـاعي)) في كـون الـدين مشـبع للقـيم الروحيـة والأخلاقيـة ومنـه تنطلـق دعـوات السـلام والمحبة والتآخي كما هـو حال الدين الإسلامي الذي يرى أن حـب المسـلم لأخيـه المسـلم هـي غايـة الـدين وهـي العبـادة الحقـة ، وأن دفـع الضـرر عـن الآخـرين هـو الهـدف المرجـو لتحقيـق رضـاء الله ورسـوله وكـذلك تـاتي اهميـة البحـث مـن خـلال الـدور الفعـال للـدين في عمليـة البنـاء الاجتمـاعي و دور الـدين في تماسـك المجتمـع ومـا للتعـاليم الدينيـة مـن دور فعـال في عمليـة الضـبط الاجتماعي .

أن أهميـة البحـث تتـأتى كـذلك مـن أن الخـوض في أمـور الـدين مـن خـلال البحـوث والدراسـات الهادفـة واللجـوء إلى الحـوار الجـاد والهـادف مـن شـأنه أن يـذلل الصـعوبات ويـذهب الاحتقـان والضـغائن مـن خلالهـم فهم الأمور كما في الواقع وليس كما نتصور .

- اهداف البحث

هـدف البحـث يتمثـل في الإجابـة على السـؤال التـالي .. ((هـل كـل مـا طغـت الجوانـب الماديـة على الجوانـب اللامادية في الوسـط الاجتمـاعي التقليـدي تتعـرض القـيم الدينيـة للتلاشـي والـزوال ؟)) . هـذا هـو الهـدف الأول .. أمـا الهـدف الثـاني فأننـا ننشـد أن يكـون هـذا البحـث المتواضـع نافعـاً للشـريحة التي تكلمنـا عنهـا وهـم (الشـباب) وأن تكـون قراءتـه وبـتفحص و إمعـان موجهـاً لهـم للابتعـاد عـن التطـرف وكـذلك ليكـون للتعـاليم الدينيـة دور فعـال في توجيـه سـلوكياتهم الوجهـة الصـحيحة لمواجهـة التحـديات الجديـدة التي يتعـرض لهـا مجتمعنـا الاسـلامي والاعتـراف بـالآخر وبأهميـة أديـانهم ومـذاهبهم بالنسـبة لمـا يمليـه علـيهم واقـع حيـاتهم ولـيس كمـا نريـد ه نحـن . وبالتـالي فـأن البحـث دراسـة نظريـة تحليليـة تغني مكتبتنـا الجامعيـة يطلـع مـن خلالهـا عليـه طلبتنـا الأعـزاء وعلى الأخـص في مادة علم الاجتماع الديني.

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

المبحث الثالث : اراء علماء الاجتماع والانسان حول المعتقد الديني

يعتبر الدين من أهم وأقوى النظم الاجتماعية الفاعلة في ضبط وتنظيم وتحديد سلوك الأفراد والجماعات وفي حفظ المجتمع وضمان استقراره. وقد اهتم كثير من العلماء بهذا الموضوع. فيؤكد دوركهايم على أن المجتمعات تعرف التفرقة بين الأشياء المقدسة والأشياء الدنسة، ويعرف الدين بأنه (نظام موحد للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة أي الأشياء التي يتعين تجنبها وتحريمها . ووظيفة المعتقدات والممارسات السائدة في مجتمع معين هي التوحيد بين أولئك الذين يؤمنون بها) ومن هنا يتضح أن دور كايم قد أكد في نظرية الجوانب الجمعية للدين تأكيدا واضحا. فوظيفة الطقوس الدينية هي تأكيد السمو الأخلاقي للمجتمع وسيطرته على الأفراد ثم تحقيق تضامن المجتمع . (٣٧،ص[٢٥٧]).

وهكذا فان دوركهايم ينظر الى الدين على انه مسألة اجتماعية وليست فردية وأن الحيوانات الطوطمية كانت تقدس في استراليا على اعتبار انها مركز إلى وحدة الجماعة أو العشيرة وتقديسهم للطوطم هو تقديس للعشيرة أي المجتمع نفسه على اعتبار أن المجتمع هو مصدر التقاليد الخلقية مثلما هو مصدر لوجودهم ، كما أن ألهة القبيلة تمثل نظام المجتمع القبلي ذاته (٢،ص[٥٣٥]) ،فقد زعم دوركهايم ان الدين حقيقة اجتماعية ، وان الظواهر او الوقائع الدينية ظواهر اجتماعية وبالتالي فان الظاهرة هي كفكرة وطقوس رمز للعقل الجمعي ومن ثم فان المجتمع هو المصدر االوحيد للتجربة الدينية ، وان الظاهرة الدينية عنده ذات وجهين ، احدهما روحي والاخر حسي (٢١،ص[٢٥٨]).

ويؤكد علماء الاجتماع كذلك على أن المجتمع لا يتماسك أو يترابط ألا بفضل الدين وان المجتمع لا يوجد أصلا إلا على أساس الأيمان الجمعي، وكلما ازداد ذلك الأيمان ازداد تبعا له تماسك وترابط الجماعة ويرى اندرسون: أن الدين مازال يؤدي دورا مؤثرا وفعالا في التنظيم الاجتماعي لبعض الدول الصناعية إلا أن هذا التأثير يكون أقوى في المجتمعات المتجانسة والمترابطة اجتماعيا بينما تتميز المجتمعات الكبرى غير المتجانسة بضعف التأثير الديني ويفسر ذلك بسبب وجود هيئات أخرى متنوعة للضبط الاجتماعي. وقد اهتم براون: بدراسة الوظيفة الاجتماعية للأديان ومدى إسهامها في بناء النظام الاجتماعي ويرى أن الوظيفة الاجتماعية لأي دين ليس لها علاقة بنوع الدين وهل هو حقيقي ام وهمي لأن الحياة الإنسانية عبارة عن مشاعر وأحاسيس تتفاعل مع رسالة الدين حتى وان كان هذا الدين باطلا في جوهرة . كما انه يرى أن وظيفة الدين تكمن في إشاعة للحاجات المجتمعية فضلا عن الحاجات الفردية .(٤٠ ،ص[٨٦]).

والكثير من العلماء يقرون بأن الدين مؤسسة هامة في المجتمع تقوم بعدة وظائف على المستوى الفردي والجماعي ، فيرى سابير : أن الوظيفة الأساس للدين هي تزويده الإنسان بهدوء في النفس وسلامة في العقل وإحساس بالأمن في عالم ملئ بالمخاطر والشكوك والأوهام. ومن الوظائف الهامة الأخرى قيامه بدور فعال في تكامل وتوافق شخصيات الأفراد

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

مع معايير وقيم المجتمع الذي ينتمون إليه.(١٦،ص٥٥٦)

تناول ابن خلدون الظاهرة الدينية حين ادرك بان هنالك علة لهذا الكون وذهب في مقدمته الى كتاب ديوان العبر ..بان جوهر الكائنات لمجهول بشكل مطلق ..والفهم يعجز عن ادراكه ..والبرهان قاصر عن ان يجعلنا نفهمه وبما ان المنطق عاجز عن هذا الفهم وعن بلوغ الحقائق على هذا النحو ولا يصلح الا لوصف عمل الملكة المفكرة فان المنطق الذي غايته تفادي سقوط التفكير في الخطأ انما هو مصطنع ، وبالمقدور التخلي عنه (٥،ص٢٣) ، كما ان ابن خلدون يمتدح اللجوء الى الدين والانتظار الصوفي للاسهام السماوي فيقول "ان الله بنعمته بنعمته يقود الناس الى الحقيقة وذلك عندما تفضي المسائل الصعبة بعقلك الى الخطأ اطلب من الله ان يغمرك برحمته، (١،ص٢٣) .

وكان اول من وضع نظرية متكاملة عن الدين هو(السير ادوارد تايلور E.Tylor) عرفت باسم نظرية الارواح وفحوى النظرية ان الانسان في بداية الامر امن بالاحلام وانفصال الروح عن الجسد الذي يحدث في الغيبوبة والموت والروح التي تنفصل عن الجسد تؤثر على الاشخاص الاحياء فخافها الانسان وتقرب اليها بالصلوات والاضاحي ، وهكذا نشات عبادة الاسلاف ومنها نشات ديانات اخرى ، واهمها عبادة الطبيعة التي تقوم على اساس الاعتقاد بوجود قوى ماوراء الطبيعة(ميتافيزيقية) الكامنة في النبات والحيوان (١٧،ص١٤٢) .

أما (أوجست كونت) COMTE AUGEST فقد عد الدين من القوى التي تسهم في تنظيم وتنسيق نظم الضبط والسيطرة في المجتمع ، ويعتقد كونت بأنه إلى جانب الأساس المادي الذي لا تستغني عنه السلطة السياسية لا بد من توفر التوجيه الفكري والتشريعات الأخلاقية وأخيراً الضبط الاجتماعي وهذه تتوفر في النظام الروحي ، وعلى وفق ذلك يقسم كونت المجتمع إلى ثلاث درجات هي : أولا ، الأسرة التي تعتمد في رأيه على الشعور والعاطفة ، وثانياً الدولة وتركز على العمل ، وثالثاً الكنيسة وتعتمد على الفكر والذكاء ولكنها في النهاية توجه نشاطات النظم الثلاثة . (٢٩،ص٧١) .

واعتقد كونت أن الفكر البشري يمر بثلاث مراحل هي ، أولا : المرحلة اللاهوتية حيث كان الفكر البشري يفسر الحوادث بقوى خارجية عن الكون قاهرة غير منظورة تستطيع أن تفعل أي شيء وكل ما تريد لذلك تعددت الإلهة وأصبح لكل ظاهرة غريبة في الكون إله ، كآلهة الشمس والقمر والبحر والأمطار والعواصف إلى غيرها . ثم أنتقل الفكر البشري إلى المرحلة الثانية وهي (ما وراء الطبيعة) حيث بدأ يفسر أسباب الحوادث بقوى كامنة في الأشياء فمثلاً أن المطر هو القوة الكامنة في الغيوم وليس بفعل آلهة غير منظورة ، وكانت بذرة هذا الفكر عند الفلاسفة الإغريق . ثم أنتقل الفكر إلى المرحلة الثالثة وهي المرحلة الوضعية حيث أصبح عقل الإنسان يفسر الأشياء بأسبابها الموضوعية ونتائجها . (١٥،ص١٢) . ولذلك اعتبر كونت أن عبادة الأصنام والشمس والنجوم هي الظاهرة الأولى للتدين والصورة الأولى

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

لفجر الدين الإنساني ، ثم كانت ظاهرة تعدد الآلهة ثم كان التوحيد أما عن الدور الاجتماعي فيتمثل في أن الديانة الإنسانية قد كانت منبعاً لكل الظواهر الاجتماعية .(٦،ص[٣٠٠])

أما (مونتسكيو) فيقول في كتابه (روح القوانين) بأنه حتى لو سلمنا بأن الدين مبني على أكذوبة فمن الممكن أن تكون له وظيفة مجتمعية مفيده كل الفائدة ، وأن يتقيد بنمط الحكم الذي يتصل به أذ أن لكل شعب من الشعوب معتقد يكون متناسباً بشكل عام مع أسلوب حياته مما يجعل من الصعب نقل ديانة بلد إلى آخر . (٨،ص[٢١٠]) .

أما (كارل ماركس) K.MARX فنظر إلى أن الدين من زاوية أخرى حيث كتب ماركس يقول :((أن انتقاد الدين شرط أساسي لكل انتقاد آخر.. والسند الذي يرتكز عليه هو الآتي: ((الإنسان هو الذي يصنع الدين وليس الدين بصانع الإنسان . (٣١،ص[١١]) .

أي أن حسب تصور ماركس هو شعور الإنسان الذي لم يعثر على ذاته ، أو هو شعور حين يلتمس حقيقته الجوهرية فيخطئها ويضل السبيل ، وليس هذا الإنسان نفسه كائناً مجرداً بل هو الإنسان الاجتماعي ، فالإنسان في المجتمع والدولة والدين ينتج شعوراً خاطئاً متمزقاً منفصماً وذلك بنسبة انتاجه لعالم زائف (٣١،ص[١٢]) .

وبذلك يصبح رجل الدين عاجزاً عن تحقيق أمنيته ، حسب رأيه وكلما تقدم خطوة سعى إلى هلاكه وتمزق ، وبالتالي لا يكون الدين سوى صورة للضياع الإنساني .

أن الدين كما يعتقد ماركس هو ضرب من ضروب الوعي الاجتماعي وهذا الوعي الاجتماعي يستند إلى الظروف والمعطيات الاقتصادية والمادية للمجتمع ، وكما يعتقد ماركس فأن البناء المادي هو الذي يصب الدين في قالب معين ويؤثر في شكل مسيرته ، أي أن النظام الاقتصادي هو الذي يؤثر في النظام الديني إليه ويشكله وفق الحالة التي هي عليها من حيث التخلف التكنولوجي أو تقدمه وليس العكس . (٤٧،ص[١٨٦]) .

أن الدين في نظر ماركس هامشي ويوقع الضرر بالجماعات الإنسانية لذلك جاءت عبارته الشهيرة ((الدين أفيون الشعوب)) منطلق من تصوره للدور السلبي الذي يؤديه الدين في المجتمع ، وبالتالي فأن الوعي الاجتماعي يكون الدين جزاً منه ما هو إلا انعكاس للواقع الاجتماعي الذي يخلق الأشكال الاجتماعية .

أما (ماكس فيبر) WEBHER MAX فقد كانت طروحات كارل ماركس محفزاً له لفحص النظرية الماركسية التي تؤكد بأن جميع الظواهر الحضارية ومن ضمنها الدين محددة بصورة أساسية من قبل القوى الاقتصادية ، وعلى عكس ماركس رأى ماكس فيبر أن الدين عامل مؤثر في الاقتصاد من خلال دراسته للقيم الدينية البروتستانتية التي كانت سبباً في تطور النظام الرأسمالي (٢٩،ص[٢٧٢]) . وكان كل ما يهم ماكس فيبر في معالجته للدين هو تأثير الدين على الحياة اليومية وعلى السلوك السياسي والإداري والاقتصادي والأخلاقي في الأوضاع التاريخية المختلفة وبرأيه بأن هناك شكلان للأديان ، فهناك الأديان التي

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

تجعل الإنسان يتكيف مع العالم ، وهناك ديانات الخلاص التي تقبل بالفوضى والأخطار بجنوحها وينبذها للذات الدنيا وسعيها وراء هدف متعال في العالم الآخر . (٢٧،ص[٩٩]) .

كما أن ماكس فيبر أكد على أهمية العامل الديني في وقوع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، ولكنه أشار الى أن الدين في بعض الأحيان يحوي قوة محافظة تتمتع بنوع من الثبات يؤدي الى استقرار المجتمع وتماسكه ولا يسمح بالتغيرات الاجتماعية في نظم المجتمع. (٢٨،ص[١٣٣]) .

وبهذا الصدد يعلق (ماكيفر) MACEVER بقوله : ((لقد دافع ماكس فيبر في كتابه (سوسيولوجيا) عن نظره موادها أن أخلاقيات مذهب كالقس لم تكن متمشية مع نمو الرأسمالية فحسب بل كانت كذلك تمهيداً هاماً لها ، وذلك لأن الأخلاق البروتستانتية اهتمت أكثر الأهتمام بفضائل الحذر من كثرة الإنفاق وكبح جماح النفس والمسؤولية الشخصية وخدمة الفرد بنفسه والعمل المتصل ، وكلها أمور تصادق هوى عند الروح والنزعة الرأسمالية . (٢٦،ص[٣٤٣]) . حيث أن (ماكيفر) نفسه يرى أن المعايير الدينية تعنى بالوضع الاجتماعي أكبر عناية بطريقة غير مباشرة وأن قاعدة السلوك المنبثقة من عقيدة دينية تعبر عن وجهة هذا السلوك والموقف الذي ينبغي أن يقفه الفرد إزاء حقيقة واقعة خارجة عن نطاق الحياة الإنسانية وأغراضها ، أنها تسعى إقامة علاقات اجتماعية وترتبط فيها الأغراض الإنسانية بإرادة فتعترض وجودها بقوى فوق بشرية أو تخضع لها وينظر لهذه القوى باعتبار أنها رحيمة أو غير رحيمة أو غير مكترثة إطلاقاً بالإنسانية (٢٦،ص[٣٣٧]) .

واهتم رادكليف براون: في دراسته للدين بالمنهج الوظيفي التكاملي من خلال ملاحظته للشعائر والطقوس التي يؤديها الأفراد ومدى تأثيرها على أفكارهم وسلوكهم، ويؤكد ذلك. أما جورج لندبرج: فيرى أن الضبط الاجتماعي يعتبر احد الوظائف الهامة للنظم الدينية، ويرى أن رجال الدين يمثلون طبقة اجتماعية هامة من طبقات المجتمع التي لا يمكن الاستغناء عنها، ويؤدون وظائف عامة، أهمها تربية الشباب وتثقيفهم من الناحية الخلقية، وتعليمهم كيفية المحافظة على المعايير الاجتماعية للمجتمع و تدريبهم على كيفية ممارستها. ويشير ايريك فروم في كتابيه عن (المجتمع المسلم) و(الخوف من الحرية) إلى أن نسبة الاضطرابات النفسية والعصبية تزداد في المجتمعات الحضرية الحديثة، حيث تضعف المشاعر الدينية، وحيث يزداد الإحساس بالفردية والغربة والضياع، وحيث يزداد القلق والتوتر. ويؤيد لانديز ايريك فروم وجهة النظر هذه ،فهو يرى أن الدين كأداة للضبط الاجتماعي يضعف أثرة كلما بدأ الأفراد يدركون الحقيقة النسبية أكثر من اهتمامهم بالحقيقة المطلقة، وأن المؤسسات الدينية في المجتمع الغربي بالرغم من اهتمامها بحل المشكلات التي تصادفها ، إلا أنها تجد أحيانا بعض الصعوبات في فوضى نفوذها على الأفراد. ويرى إدوارد سابير : أن للدين أهمية كبرى ويلعب دورا بالغا في ضبط سلوك الأفراد ، فهو يزود الإنسان بالسكينة والأيمان وهدوء النفس وسلامة العقل (٤٢،ص[١٦٦-١٧٠]) .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

ويتفق (فرويد) مع ماكس في نظريته عن الدين بتأكيده ان الطبقات الدنيا لديها حاجة شديدة للدين لأنها تعاني من الإحباط الغرائزي أكثر من الطبقة الحاكمة ، فالدين بالنسبة للعام يستخدم لمنع العصيان وتحقيق مطالبهم بفرصة متساوية لأشباع رغباتهم . (١٠،ص[٢٠٣]).

ويذهب لوكير الى أن الدين لا يتشكل بالمجتمع بل ان المجتمع يتشكل وفق الدين، وهناك شبه إجماع بين العلماء بأن ثمة تأثيراً مشتركا بين الدين والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع.(٤٢،ص[٧١])

أما (سوركن) فقد وصف القيم الدينية بأنها حضارة الأيمان و العقيدة ، لأن الحضارة المثالية هي حضارة العقل ، وبأن المرحلة المادية الحسية تزول لتحل محلها قيم جديدة ، هي القيم الروحية الدينية التي ستكون خارجية في المجتمع ، وكل شيء يكون حسناً وجيداً حتى تصل الحضارة الجديدة إلى نهايتها . (٢٥ ، ص[٢٣٢]) . وهو يشعر بأن الثقافات الصناعية المعاصرة في أمريكا وأوربا تمر بمرحلة تفكك فكري وأخلاقي لطغيان الاتجاهات الحسية والكمية فيها قياساً إلى الاتجاهات المثالية والنوعية التي انحسرت كثيراً حسب رأيه (٢٩، ص[١٤٤]) .

يذهب (مالينوفسكي) MALINOWSKI إلى أن الدين بمثابة مخرج من المواقف والمآزق التي لا تخرج منها عبر الطريق التجريبي ، ولا حل لها إلا بواسطة الشعائر والاعتقاد والأيمان بما هو روحاني أو فوق عضوي . (٣٥ص[١١]) . والطقوس من وجهة نظر مالينوفسكي وما يرافقها من عقائد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاجات نفسية عميقة وهي أنما وجدت لإرضاء هذه الحاجات ، كما أنها تعبر عندما تتعمق في مدلولاتها عن المشاكل التي بها حياة الإنسان بجوانبها الطبيعية والاجتماعية . (٢٨،ص[٢٦٤]) . ويرى مالينوفسكي أن بحث الأديان ينبغي أن يتم على أساس ارتباطها الوثيق بالتركيب الحضاري للبشر باعتباره بناء موجهاً لإرضاء حاجات الناس الأساسية الكامنة في الشخصية . في حين يرى (راد كليف براون) في الأديان بأنها تجسد الضوابط التي لا تفهم إلا من خلال ارتباطها بشبكة من العلاقات الدائرة في ذلك البناء الاجتماعي . (٢٨،ص[٢٦٥]) ، ويعتقد مالينوفسكي أن كل الآراء التي طرحت حول الأديان من قبل ماكدوك كونها غريزة فطرية وأدوارد تايلور من زاوية الأحلام والعالم الألماني (فوندت) WUDT بأن النزعة الدينية تنبع من عواطف الرهبة والخوف ، ونظرية (دوركهايم) التي تجسد قوة المجتمع وسيطرته علة أذهان الأفراد وسلوكم .فكل هذه الآراء والفرضيات والنظريات تتطرق إلى الحاجات الإنسانية التي ترضيها الأديان إلا أنها تطرحها كما لو كانت مسائل جانبية لا تستحق أكثر من الاهتمام الثانوي والعرضي (٢٨، [٢٦٥]) . ولهذا فأن مالينوفسكي وأن اظهر شيئاً من التحيز للتفسير النفسي في بحوثه للنظم الروحية إلا أنه أقرب من غيره من العلماء إلى المنهج العلمي المتوازن لأنه لم يغفل الجانب الحضاري والجانب الاجتماعي في تحليله النفسي للتفاعل الحاصل بين الطقوس والعقائد والشخصية الإنسانية . كما أنه بالرغم من الاستقطاب الذي حدث بينه وبين براون فأنه بالإمكان معالجته عن طريق التوفيق بين النواحي النفسية التي

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

منحت الأولية في بحوث مالينوفسكي وبين النواحي الاجتماعية التي أعطاها براون درجة أكبر من التأكيد .

وثمة نظرية أخرى تدعى بـ (نظرية القربان) وتقدم بها (روبرتسن سمث) وهي تنص على أن الدين الأول قد نتج عن مفهوم القرابين ، فقد أبتكر الإنسان هذا المفهوم ليكون همزة الوصل بينه وبين القوى الفوق طبيعية وبينه وبين أفراد جماعته التي تأكل من لحم القربان (٢٨، ص[٢٧٢]) . ولقد اتسمت دراسة سمث التي تناول فيها الأديان السحيقة في شبه الجزيرة العربية بتأكيد الصلة الوطيدة بين النظام الاجتماعي والطقوس والمعتقدات ، لكن سمث لم يستطع تحليل جميع العلاقات القائمة بين النظام الاجتماعي والدين . واهم جانب من تحليله هو أدعائه بأن القرابين والولائم المعتمدة عليها تقدم وظيفة اجتماعية تتمثل في تدعيم الشعور بالتضامن الاجتماعي . وهكذا استنتج من مجمل تحليله الترابط الشديد بين الأنساق الدينية والأنساق الاجتماعية ، وعلى هذا فقد أعطى سمث اهتماماً أكثر مما أعطى فريزر للسياقات الاجتماعية في دراسته للدين . (٣٠،ص[١٧٧]) .

يرى الشهيد الأول (محمد باقر الصدر قدس) أن الدين يوحد بين المقياس الفطري للعمل والحياة وهو حب الذات ، والمقياس الذي ينبغي أن يقام للعمل والحياة ليضمن السعادة والرفاه والعدالة . (٢٣، ص[٤٠]) . ومعنى ذلك أن المقياس الفطري يتطلب من الإنسان أن يقدم مصالحه الذاتية على مصالح المجتمع ومقومات التماسك فيه ، والمقياس الذي ينبغي أن يحكم ويسود هو المقياس الذي تتعادل في حسابه المصالح كلها وتتوازن في مفاهيمه القيم الفردية والقيم الاجتماعية . والتوفيق بين المقياسين وتوحيد الميزانين يحصل بعملية يضمنها(الدين) للبشرية التائهة ويتم ذلك بأسلوبين : الأول : هو تركيز التفسير الواقعي وإشاعة فهمها في لونها الصحيح كمقدمة تمهيدية إلى حياة أخروية . والأسلوب الثاني : فهو التعهد بتربية أخلاقية خاصة تعني بتغذية الإنسان روحياً وتنمية العواطف الإنسانية والمشاعر الخلقية .

ولذلك ينصرف هم الأديان جميعاً إلى تربية أتباعها تربية دينية ، وتعني أن يكون الإنسان هو الشرطي على نفسه وهو القاضي الذي يحاكم نفسه ، وقد أشار الرسول الأعظم إلى هذا المعنى في حديثه الشريف : ((أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنه يراك)) وهذه هي غاية التقوى وهي لا تقتصر على العبادة وتنحسر على الحياة اليومية أنما هي تشملها معاً وتستوعبها معاً . (٤٩، العدد ٤٤٥٣٧ في ٢٠٠٨/١١/١٣) .

-المبحث الرابع : الدين و البناء الاجتماعي

إن ظاهرة الدين موجودة في كل حضارة بالرغم في اختلافه من حضارة لأخرى عقيدةً وتطبيقاً ، لأنه يعين الذين يعتنقونه على تفسير الأحداث المعقدة والغامضة التي يواجهونها ويخلق تماسكاً اجتماعياً قوياً بينهم ويمكنهم أن يميزو بين الصحيح والخطأ من وجهة نظرهم في أعمالهم . (١٨، ص[٨١٦]) . وحتى في أشد المجتمعات بدائية يعد الدفاع عن وطن القبيلة أو الجماعة واجباً دينياً ، لأن هذه الأرض تضمم رفات الأجداد وهي موضع التقديس أو لأن فيها مساكن الأرواح المعبودة . (١٤،ص[٥٦]) .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

من قبل قال (دي ميستر) : ((أن الأيمان والعقيدة يجب أن يحكما العالم ، وأكد بأن التاريخ علمنا دروساً قيمة عن عقم العقل البشري لقيادة الناس وعد حركة الإصلاح الديني أعظم الجرائم التي ارتكبها الإنسان ضد الله ، وظن أن الحل الوحيد للوضيعة الحاضرة هو الاعتراف بالسلطة المطلقة للبابا .)) (٢٥، ص[١١٧]) .

ويقول في هذا الصدد (جورج يسل هاريسون) : ((على العلماء إلا يقوضوا في نقوس الناس احترامهم للدين بتوجيه النقد مالم تتعارض حقائق العلم مع حقائق الدين تعارضاً كاملاً . وندر ما يحدث ذلك ، فليس من كسب للإنسانية أن تقضي على ما لدى البشر من أيمان ديني دون أن يحل في نفوسهم أيمان آخر بديل للدين الذي كان يمدهم بالسكينة في النفس .)) (١٤، ص[٢٧١]) .

لقد قال (كلايد كلوهن) في مؤلفه ((الإنسان في المرآة)) : ((لقد تبنت معظم الأديان العظيمة في العالم بإخلاص وصدق مبدأ الأخوة العالمية .. ص٢١٣)) ، وقد ثبت علمياً وحدة أنتساب الجنس البشري إلى أصل واحد وان الأجناس والسلالات لا تتمايز بعضها على بعض فالناس إذن إخوة ، هذه الحقيقة العلمية سبق أن قررتها الديانات السماوية . (١٤، ص[٢٧٢]) وكما جاء في قوله تعالى ((يأيها الناس أتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجالاً كثيراً ونساءً .. (سورة النساء آية ١) .

أن التدين كما يقول الدكتور علي الوردي يشبه أن يكون غذاءً نفسياً للإنسان فالإنسان على حد زعمه مهدد بالأخطار والمشاكل دائماً ، وهو يخش الموت ، فهو أذن بحاجة إلى عقيدة وطقوس دينية تساعده على مواجهة تلك الأمور المرعبة وعلى تقوية عزيمته وبعث الطمأنينة في نفسه تجاهها . (٣٣، ص[٢٢٢]) .

يقول البروفسور (زاندن) ZANDEN ((أن المعتقدات تعلم الناس لماذا هم في العالم ، وما هي القوى التي تؤثر في حياتهم وتفسر لهم ما يجري في الدنيا حولهم من ظواهر طبيعية وأحداث إنسانية تمس حياتهم وتمس حياة الآخرين .)) (١٤، ص[١٣٥]) كما أن للمعتقدات وظيفة أخرى في المجتمع هي تحريره من التوترات Tension's بمعنى أن المعتقدات تعطي إطاراً Framework لتقدير الأحداث وفهمها وللتعامل معها وبدون هذا الفهم فأن الأحداث تهدد المجتمع تهديداً خطيراً وتكون مصدر قلق له . (١٤، ص[١٣٥]) .

يرى (ماكيفر) أن الدين يفرض قواعد السلوك وبهذه الكيفية يتجه نحو التوحيد بينها وبين قواعد الأخلاق التي لا تخرج عن كونها قواعد سلوكية كذلك ، وفي الحق أن للأخلاق ظاهرة نادرة الوجود وعلى ذلك فالتميزبين الدين وقواعد السلوك ذات الأساس الأخلاقي مسألة ضرورية . (٢٣، ص[٣٣٣]) . وأن ربط الآداب بالدين يعطيها قوة واحتراما بل أنه في المجتمعات البدائية تحتمي النظم الاجتماعية الأخرى بالنظام الديني وتستعير منه ، وتستمد مبررات لوجود الأنماط السلوكية المرغوبة ، لهذا فأن النظام الديني له وظيفة عامة الأب الشرعي المنتج للقوانين الخلقية Ethical Codes . (١٤، ص[٧٧]) .

ثمة سؤال يطرح نفسه .. هل كل ما طغت الجوانب المادية على الجوانب اللامادية في الوسط

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

الاجتماعي التقليدي تتعرض القيم الدينية للتلاشي والزوال . والأجابة على هذا السؤال هو أن الحاجة إلى الدين ستستمر فالبواعث التي تسببت في لجوء الإنسان إلى الدين في عصوره الاولى لا زالت هي نفسها تدفعه على المزيد من البحث والأستقصاء عن سر هذا الكون وما هية الخلق ولا زالت الأديان السماوية تتجدد مع تجدد حاجات الإنسان ورغباته المشروعة كما أن هذا العصر ولد حاجة الإنسان الملحة لراحة البال والأطمئنان اكثر من حاجته في العصور الأولى وذلك لما أفرزته التكنولوجيا من ظواهر غير سليمة أنهكت روح الإنسان وشوهت آدميته .

وفي هذا الصدد يرى (ماكيفر) : ((أن الأفكار الدينية الكبرى عند الإنسان تتلازم في كل مكان مع حاجات الناس وقيمهم السائدة التي يتمسكون بها ، والإنسان من مصلحته أن يكون (الله) موجوداً وأن يعتقده قادراً على كل شيء كلما سعى للحصول على الخيرات التي تعمل الحياة على تيسرها . (٢٦ ، ص[٣٤٣]) .

لقد كتب ماكس مولر يقول : ((أن زمن الدين قد ولى وأن الأيمان وهم أو مرض طفولي ،وأنه قد تم الاكتشاف أخيراً بأن الآلهة لم تكن إلا من اختراع البشر وأنها فقدت من ثم رصيدها . (٨، ص[٢٧٣]) . وقد يكون هذا الموقف منطلقاً من سيطرة الإنسان على العالم من خلال العلم ، وبمعنى آخر فأن المجتمع الصناعي صار دنيوياً وأصبح الناس لا يعنون بالتطبيقات الدينية ، وأنكروا صحة المعتقدات ، وأعتقد الافراد في مثل هذه المجتمعات بأن الدين يهتم أساساً بالقيم الخلقية .

أن مثل هذا التصور يجعل من عجز الإنسان دافعاً للمعتقد الديني ، وبان الإنسان اليوم لم يعد بحاجة إلى مقدس ، إلا أن عصر ما بعد الحداثة وبكل ما جلب من أحباط ويأس من العالم المثالي الذي يتطلع إليه الإنسان شهد عودة واضحة للروحانية تمثلت في العالم الغربي على وجه الخصوص بظهور حركات غريبة وشاذة كالهيبز أو غيرها أما في العالم الإسلامي فتمثلت بعودة الأصولية الإسلامية المعتدلة والمتطرفة . الأمر الذي يعيد طرح السؤال حول علاقة الدين بالعجز وإذا ما كان الإنسان فعلاً قادراً على التخلي عن الأيمان بالمقدس .

الفيلسوف الإنكليزي (كيد) B.KIDD بان الدين هو العامل الحاسم في التطور، وقد سبقه في ذلك (فوستل دي كولانج) FUSTEL DE COULANGE حيث عد الأفكار الدينية فوق كل شيء وهي الباعث الأساسي للتغير الاجتماعي – وقد ربط (كيد) تأكيده للدين بالنظرية التطورية ففي مؤلفه (التطور الاجتماعي) – ١٨٩٤- معارضاً كونت صراحة إلى أن العقل لا يمكن اجتماعياً لذلك كان القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم هي (الدين) الذي يحاط بجزاءات فوق طبيعته ويدعم الأخلاقيات الغيرية ، وأذن فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات وينقذ الحضارة من الأخطار الكبرى ، والدين فوق ذلك كله هو الذي منع حدوث تفكك اجتماعي كامل خلال القرون الأولى المسيحية فقد نهضت حضارة العصور الوسطى على أسس دينية .

يذهب دوركهايم (Durkheim)في كتابه عن (الاشكال الاولية للحياة الدينية)

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

(Elementary Forms of the Religious Life) والذي تضمن دراسة عن المعتقدات وشعائر الدين الطوطمي لاحدى القبائل الاسترالية التي تدعى (الاورنتا) استنتج دوركايم من هذه الدراسة ان للدين وظيفة اجتماعية هي المحافظة على التماسك واستمرار البناء الاجتماعي للمجتمع وتاكيد اواصر التعاون والود بين المنتمين لدين واحد.(٧،ص[٢١٨]) .

من هذا المنطلق فان للدين الدور الفعال في عملية البناء الاجتماعي ويكمن ذلك في ان الدين واحد من الانساق الاجتماعية المهمة المؤلفة للبناء الاجتماعي في جميع المجتمعات على حد السواء وهو ذو تفاعل مع الانساق الاجتماعية الاخرى فهو يؤثر ويتاثر فيها والدين في واقع الامر من الظواهر الاجتماعية الملازمة للبناء الاجتماعي للمجتمعات والجماعات الانسانية اينما وجدت . (١١، ص[١٤٦])

وأخيراً فأن تأثير الدين أو بمعنى أخر المميزات التي ينتظرها الإنسان من الدين الذي يعتنقه تتمثل بالآتي :

أولا : الأيمان بوجود الله هو الخالق للكون والعالم والمتحكم بها وبالبشر وبكافة المخلوقات .

ثانياً : التمييز بين عالم الأرواح وعالم المادة .

ثالثاً : وجود طقوس عبادية يقصد بها تبجيل المقدس .

رابعاً: قانون أخلاقي أو شريعة تشمل الأخلاق والأحكام التي يجب أتباعها .

خامساً : الصلاة وهي الشكل الأساسي للأتصال بالخالق وإظهار التبجيل والخضوع له وحده .

سادساً : رؤية كونية تشرح كيفية خلق العالم وتركيب السماوات والأرض ، وآلية الثواب والعقاب ، أي كيف ينظم (الله) عز وجل شؤون العالم .

سابعاً : شريعة أو مبادئ شرعية لتنظيم حياة المؤمن وفقاً للرؤية الكونية التي يقدمها هذا الدين . (٥٠، العدد ١٤٢٩ في ٢٠٠٨/١١/٦) .

- المبحث الخامس: الدين و الضبط الاجتماعي

منذ خلقت النفس البشرية من قبل الله سبحانه وتعالى وقد جعلها تحمل بين طياتها نوازع الخير والشر،حيث قال تعالى(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس:٧-٨) وقال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس:٩-١٠) وجعل سبحانه النجاح والفشل مرهونة بسعي الإنسان للارتقاء بنفسه او الانحطاط بها الى مهاوي الرذيلة، والإنسان منذ بدء خلق خُيّر بين طريقين طريق الخير او طريق الشر، ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلة الانسان التي اتسمت بالصراع مابين نوازع الخير التي يحملها مع نوازع الشرالتي في نفسه ومن هنا لابد للانسان ان يستعين بما انعم الله عليه من نعم وبما عطاه الله من حكمة وعقل ليختار الطريق الصواب. قال تعالى (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ*وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ*وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)(البلد:٨-١٠) .

ولذا فقد وضع الإسلام ثلاثة ضوابط اجتماعية يشكل مجموعها منهجا متكاملا لاستقرار المجتمع، أولهما : هو الضابط الذاتي في داخل النفس الإنسانية، يتحقق اذا تمكنت تعاليم الشريعة من نفس الفرد بحيث تشكل ضابطا خلقيا يحاكم الإنسان نفسه بنفسه، والضابط الثاني هو ضابط

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

اجتماعي مصدره المجتمع، يتكون من خلال إشاعة المعروف والأمر به ومحاربة المنكر والنهي عنه قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران:١١٠)، حتى تصبح محددات السلوك المقبول في المجتمع والسلوك المرفوض فيه جزء من معايير الضبط داخل المجتمع، أما الضابط الثالث فهو ضابط السلطة حيث تتولى تطبيق العقوبات الشرعية المقررة لأنواع المخالفات. وهذه الضوابط تتكامل لتحقيق المعاني الإسلامية لتصبح الحياة بها أقرب الى الكمال والسعادة والحضارة والرخاء والطمأنينة. (٤٢، ص[٣٧]).

وقد قسم بعض المفكرين الضبط الاجتماعي الى نمطين، هما : الضبط الشعوري والضبط اللاشعوري، ويسمى بالضبط الداخلي وهو تلقائي نما تدريجياً وتلقائياً من خلال بعض التفاعلات الاجتماعية التي تبلورت ثم تصلبت تدريجيا فأصبحت قواعد راسخة وجزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد ، وهذا النوع من الضبط هو أفضل أنواع الضبط بسبب الطاعة الصادرة عن رغبة مما يسهل تطبيقه لأنه لا يحتاج الى مؤسسات رسمية تشرف على تطبيقه، وهو كما سبق " ضبطا داخليا لا شعوريا" يصدر عن مشاعر الفرد ورغبته وليس خوفا من سلطة او قانون معين.(٣٩،ص[٥٢]).

ومثل هذا النوع من الضبط تحكمه عوامل مختلفة كالدين والعادات والتقاليد والأعراف والقيم ، وقواعد السلوك في الأسرة وقواعد التعامل داخل المجتمع . ولكن يأتي الدين كذروة السنام لهذه العوامل، رغم أن العديد من هذه العوامل يدخل في دائرة الدين لأن العادات والأعراف والقيم تعد مصدراً من مصادر التشريع في الدين الإسلامي.

لذا يعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية، ولذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسته ووضعه على قمة النظم الاجتماعية. والدين نظام اجتماعي شامل لايسمح لأي فرد أن يكون له رأيا خاصا فيه، او يسلك سلوكا خارجا عليه. فالدين يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالثواب والعقاب لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الدار الآخرة أيضاً. فالتدين علاقة شخصية بين العبد وربه، وجزاءه مؤجل لما بعد الموت، فإن المجتمع لا يترك الفرد لهذا الجزاء بل يوقع جزاءاته ويزاول ضغوطه بالتبشير والوعظ والتخويف، ليصبح الدين بذلك أداة ضبط اجتماعي، لها فاعليتها في ضبط سلوك الأفراد، فحياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لايمكن أن يستقرا بفعل قوة القوانين الوضعية فقط، بل لابد من الردع الروحي والإيمان بالقيم الاجتماعية والخوف من غضب الله، وبالتالي يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى. (٤٢،ص[٦١-٦٣]) .

ويبرز أثر الدين وبالذات الدين الإسلامي كأداة ضبط فيما يشتمل عليه من تعاليم تمثل في مجملها مجموعة من الضوابط تظهر في العبادات المتعلقة في

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، وفي المعاملات التي تعكس العلاقة بين الأفراد.

من الدعائم التي يعتبرها(الماوردي) ضرورية للضبط الاجتماعي ستة أمور هي:"دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح"، وقد أطلق عليها الماوردي قواعد للضبط، ويأتي الدين كأبرز هذه القواعد ليؤدي وظيفتين يعمل بهما لاستقرار النظام الاجتماعي، وظيفة اجتماعية وأخرى فردية، فالدين من وجهة نظره يمارس ضبطا ذاتيا على الفرد، من حيث تهذيب نفسه وتخليصها من شوائب السلوك اللاسوي وبخاصة السلوك الإنحرافي، بتوافر قدرة عالية لدى الفرد في ضبط النفس والسيطرة عليها ومحاربة نزعتها الشهوانية، ولكنه في نفس الوقت يسعى لإحداث التوازن داخل النفس فلا يسعى الى حرمانها من كل متطلباتها، بل لابد من توفير ما تحتاج إليه من الضروريات كشرط أساسي لإصلاح الفرد وضبط سلوكه وتصرفاته، فالخلق هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك عاطفيا وفكريا لتتحقق وحدة الجماعة وتكامل شخصيتها . (٥١، ص[٤٨-٥٣])

وقد كان الدين في السابق المصدر الأساس للقانون، وبالتالي فهو وسيلة ضبط مهمة في المجتمع فالقانون المصري والبابلي والهندي واليوناني كان ينظر إليه على انه من صنع الآلهة، كما أن الكنيسة كانت في أوربا قوة اجتماعية تفوق قوة الدولة.. وفي العصر الحديث بالرغم من أن الدين والدولة يعملان بشكل مستقل في كثير من دول العالم إلا أن الدولة لا تزال تستند بسلطتها الى الكثير من القواعد الدينية ذات التأثير الاجتماعي كأمور الزواج والأحوال الشخصية وبعض أنواع السلوك الاجتماعي.(٣٦،ص[٧٩-٨٠]).

والدين اذاً من النظم الاجتماعية المهمة لأنه يقوم بوظائف في حياة الناس تعزز الاستقرار والنظام، ولأنه عقيدة أساسية بما يحمله من معان أخلاقية. والدين الإسلامي أسمى الأديان وخاتمها يحوي الكثير من التعاليم الدينية التي تحث على الابتعاد عن الاعتداء والسرقة او قتل النفس ، والابتعاد عن الفواحش والمحرمات والفتنة والغش ... وهذه كلها لها آثارها التربوية فهي ضوابط اجتماعية وقائية ضد الجريمة والانحراف والمخالفة. (٣٨،ص[٨٢])

وقد أدرك ابن خلدون الدور الذي يؤديه الدين في عملية الضبط الاجتماعي. لكونه يمارس نوعا من الرقابة على سلوك الناس، وتمتد هذه الرقابة في السر والعلن، وهذا ما يميز الدين عن القانون، فالفرد يمتثل للمعايير التي يفرضها الدين والتي تحدد الثواب والعقاب لجميع الأفعال والتصرفات التي يؤديها أو يمتنع عنها . (٣٥،ص[٨٢]) .

وتجاوزت ضوابط الدين الحدود الضيقة لمفهوم الدين . من كونه ممارسة تعبدية لبعض الشعائر والمعتقدات محكومة ببعض الضوابط الملزمة لأفرادها المعتقدين بها، وبالتالي يخضعون الى طائلة العقاب عند تجاوز الحدود المقرة عقائدياً . وأضحت مؤثرة في جميع مجالات الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فالضبط الديني يؤثر تأثيراً مباشراً وفعالاً في ثقافة المجتمعات ويعمل على توارثها. وعن علاقته بالاقتصاد نجد ان الدين الإسلامي وضع الأحكام

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

وأصول التشريعات المنظمة لحياة الإنسان، فأقرت الملكية الفردية وفتحت المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق، وجعلت العلاقات الاقتصادية بين الناس تقوم على دعائم متينة من الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والعدل والتواصي بالبر والإحسان والتكافل. وفي الجانب السياسي نجد للضبط الديني أهمية كبرى في إقرار العدالة والتماسك الاجتماعي، وفي مجال التربية وهي عملية اجتماعية تكيف سلوك الأفراد ومواقفهم ليتمشوا ويسايروا القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة. كما أن من شأنها أن تبذر في نفوس أفراد الجماعة الخوف من العقوبة الإلهية، وهذا الخوف هو الكفيل للامتثال للضوابط الدينية المقدسة التي تنظم الحياة الاجتماعية. (٤٢ ، ص[١٧٢]).

المبحث السادس :الدين واليات ضبط السلوك الذاتي والضبط الخارجي

الدين سلطة عليا تقوم على فكرة العقاب والثواب، وهو نظام اجتماعي له اثر كبير في تنظيم المجتمع، لأن العلاقة وثيقة بين الدين وقواعد السلوك، ويؤكد الكثير من علماء الاجتماع على أهميته في ضبط سلوك الأفراد والجماعات معاً كونه يتضمن علاقة لاتقوم بين رجل وآخر فحسب، لكنها تقوم كذلك بين الإنسان وقوة أعلى منه. فالدين يفرض جزاء يمكن وصفه بأنه فوق اجتماعي كالخوف من غضب الله. ويرى بعض الكتاب لأمثال "بنيامين كد B.Kidd " والفيلسوف المعاصر "لويس Lewis" ان قاعدة السلوك الخلقي لاتقوى على البقاء بدون تأييد من الدين. فالنظام الديني سلطة قوية لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس في ضوء مشيئة قوى فوق بشرية ، ولهذا فإن قواعد السلوك الخلقي لا يمكنها البقاء والاستمرار بدون سلطة الاعتقاد الديني. (٤١،ص[٥٧-٦٢]) .

وإذا تناولنا الإسلام كخاتم الديانات فنجد أن مبادئه تقوم على ضبط اعتقاد وسلوك الفرد ليحقق في النهاية خير البشرية وسعادتها. وهو ليس ضبطا لأهداف مادية أو وظيفية أو نحو ذلك ولكنه ضبط يأتي كنتيجة حتمية لإيمان الفرد وتسليمه الكامل لأوامر الله وهذا هو معنى الإسلام، وبالتالي يؤدي ذلك الى تكوين شخصية فعالة في تكوين البناء الاجتماعي. ولذا فالضبط الاجتماعي من المنظور الإسلامي هو نتيجة طبيعية لمسئولية المجتمع المسلم في بناء وتعزيز المؤسسات الاجتماعية والتربوية التي تضبط سلوك الأفراد وتوجهه على أساس إسلامي.(٤٠،ص[٨٢]).

أما الضبط الخارجي فينشأ من ارتباط القواعد القانونية بالدين لما للدين من سلطان عظيم في نفوس الأفراد، فكان الناس التنظيم الاجتماعي الوحيد الذي يسود الحياة الاجتماعية وينسقها.(٤٢، ص[١١١]).

يمتثلون لما تأمر به الديانة دون مناقشة او مراجعة، وفي المجتمعات الحديثة شرعت القوانين بواسطة هيئات متخصصة نجد أن الدين كان يمثل المصدر الأول الذي تستند إليه هذه القوانين، وبخاصة في مجتمعاتنا الإسلامية.

لذلك ينظر للدين في كل مجتمع تقريبا على أنه هو الحافظ الأول للأخلاق منذ العصور التاريخية،

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

عندما كانت الأخلاق والقانون والعادات والتقاليد والدين جزءا واحدا لا يتجزأ، وكان الدين هو :

إضافة إلى ذلك فأن ثمة وظائف أخرى يؤديها الدين للأفراد والجماعات . (١٣، ص[٦٣])

(١) يساعد الدين على تحقيق الوحدة الفكرية والعقلية والعقائدية والكفاحية بين الأفراد الذين يؤمنون به .

(٢) يهذب شخصية الفرد ويجعلها قادرة على أداء دورها في المجتمع .

(٣) حل بعض المشكلات والصعوبات التي يعاني منها الأفراد في اللقاءات الطقوسية والعبادية التي يؤديها الأفراد بشكل جماعي .

(٤) تزويد المجتمع بالقيم الفاضلة التي تساعده على النمو والبناء والتطور .

(٥) يؤدي الدين دوراً كبيراً في تنظيم الحياة الانفعالية والعاطفية التي يعيشها الإنسان لا سيما وقت تعرضه للتحديات والأزمات والنكبات والأخطار كالحروب والفيضانات والزلازل والبراكين والمجاعات وموت المقربين إليه لسبب أو لآخر.

(٦) ينظم الدين الحياة الاجتماعية في المجتمعات المحلية والكبرى من خلال التكامل الاجتماعي بين الميسورين وبين المحتاجين ، ونشر الثقافة والتربية من خلال مؤسسات كالمساجد والجوامع والكنائس .

(٧) وفي تصور ماكس فيبر أن وظيفة الدين الرئيسية هي إرضاء الحاجة الإنسانية العميقة لإضفاء بعض المعاني على الكون . (٣، ص[١٥]) .

(٨) يرى فرويد أن من بين وظائف الدين الرئيسية هي إعطاء الإنسان غطاء من الوهم ضد خوفه من الطبيعة والأحباطات التي يواجهها في المجتمع ، لذلك فأن فرويد يرى أنه من الصعوبة بإمكان تحرير الإنسان من الوهم الديني في المستقبل القريب .

الخاتمة

لقد تبين للباحث بعد هذا العرض المفصل للظاهرة الدينية والتعريف بها ، بأن النسق الديني من الأنساق الفاعلة في البناء الاجتماعي وعملية الضبط الاجتماعي والمؤثرة فيهما . فهو من الضوابط المهمة التي تحكم السلوك الإنساني ودفعه للتوافق مع القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع والتوائم مع الآداب والنظام الأخلاقي القائم فيه ، كذلك يعد الدين من الحقائق الاجتماعية التي يتمسك بها الإنسان ولا يفرط بها ولا يخل بالتزاماته تجاهها من حيث ممارسة الطقوس والشعائر وأداء العبادات في أوقاتها واحترام كل ما يمت بصلة لهذه الشعائر والطقوس . كما أن الدين عامل مهم من العوامل التي تؤدي إلى تماسك الأفراد وتقوية الأواصر فيما بينهم وذلك من خلال التعاضد والتكافل الذي يحدث بينهم حيث يعمد الموسرون فيهم إلى إعانة المحتاجين والمعوزين منهم . كما هو في نظام الزكاة في الدين الإسلامي حيث يعد هذا النظام من أكثر أنظمة الضمان الاجتماعي تطوراً .

إن الدين فوق هذا وذاك عامل موحد للأفراد سواء على مستوى الأفكار والعواطف أو على صعيد العمل الذي يبرز بشكل جلي وواضح عند مواجهة الأزمات والأخطار والكوارث ومن هذا استنتج الباحث أن الإنسان يظل بحاجة ملحة إلى المعتقد الديني رغم طغيان الجوانب المادية على الجوانب اللامادية في

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

العصر الحديث . وبذلك يظل النسق الديني فاعلاً في البناء الاجتماعي وله دور فعال ومؤثر في عملية الضبط الاجتماعي وان للتعاليم الدينية دور في توجيه سلوكيات الافراد داخل المجتمع دوراً يساهم في بناء وتماسك المجتمع سواء في المجتمعات البدائية أو المجتمعات الانتقالية أو المجتمعات المتقدمة .

أهم التوصيات والمقترحات

من خلال الاستعراض السابق يمكننا التوصل الى بعض التوصيات، لعل من أبرزها:

١-التأكيد على أهمية الدين كمصدر من مصادر الضبط الاجتماعي، وأن الجميع مطالب بالعودة الى المنهج الديني الذي يضمن للمجتمع استقراره وسكونه.

٢-الدين مصدراً فاعلا في تأصيل الضبط الذاتي للأفراد، من خلال ما يؤمنون به من قيم ومبادىء ومعتقدات تدعو في مجملها الى خير المجتمع وإصلاحه.

٣-دعم الضبط الذاتي للأفراد يقلل من الحاجة الى أشكال الضبط الرسمية، كما يساعدها في أداء مهامها، من خلال تأصيل هذا الأثر في النفوس باستخدام الأساليب التربوية الإسلامية، حتى أضحت أشكال الضبط الاجتماعي متمثلة في الذات المسلمة .

٤-الحاجة لإبراز الدين ودوره في الضبط الاجتماعي تبرز كذلك كون أشكال الضبط الاجتماعي الرسمية لم تضمن للمجتمعات الاستقرار المطلوب لأنها بحاجة الى ضبط مستمر، فإجراءاتها تخترق وقواعدها ينفذ من ثغراتها.

٥- إجراءات الضبط الاجتماعي الرسمية تؤدي بعضها الى انحرافات أخرى ، فهي تعالج انحراف بانحراف مثل خروج السجين بكم كبير من االخبرات السيئة. مما يدعم الحاجة الى تقوية أشكال الضبط غير الرسمية وبالذات ما يتعلق بتعاليم الدين .

المصادر

أ- الكتب باللغة العربية

القرآن الكريم

١- أبن خلدون ، مقدمة أبن خلدون ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٢- أبو زيد ، د. أحمد ، البناء الاجتماعي ، ج٢ ، (الأنساق) الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ .

٣- اينودونزي ، جدلية علم الاجتماع بين الرمز والأشارة ، ترجمة د. قيس النوري ، مراجعة د. نوري جعفر ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٤- أحمد ، د. قيس هادي ، نظرية العلم عند فرانسيس بيكون ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٥- أيف لاكوست ، أبن خلدون ، ترجمة د. ميشال سليمان ، الطبعة الأولى ، (دار أبن خلدون – بيروت) ، ١٩٧٤ .

٦- إسماعيل قباري ، راد كليف براون ،منشاة المعارف، الإسكندرية ، ١٩٧٧

٧- ـــ،الانثروبولوجيا العامة،صور وقضايا علم الانسان ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ،ب ت.

٨- بريشارد ، أيفانز ، الأقامة المجتمعية ، ترجمة حسن قبيس ، دار الحرية للطباعة والنشر ،دمشق ، ١٩٨٦ .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

٩- بدوي ، أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٠- بيومي ، د. محمد أحمد ، علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .

١١-تيماشيف ، نيقولا ، نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

١٢-الحسن ، د. أحسان محمد ود. عبد المنعم الحسني ، طرق البحث الاجتماعي ، الموصل ، ٩٨٢ .

١٣-ـــ ، ـــ علم الاجتماع الديني ، مطبعة الرسائل ، الطبعةالأولى ،بغداد ، ٢٠٠٣ .

١٤-الزلباني ، د. محمد محمد ، القيم الاجتماعية – مدخلاً لدراسة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٥-الزيادي ، د. صدام ، المدخل إلى الفلسفة ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٧٩ .

١٦-رياض ، د. محمد ، الإنسان – دراسة في النوع والحضارة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١٧-سلمان ، د. عبد علي ، المدخل إلى الانثروبولوجيا الاجتماعية ، مطبعة النجف ، ٢٠٠٧ .

١٨-سليم ، د. شاكر مصطفى ، قاموس الانثروبولوجيا ، الكويت ، ١٩٨١ .

١٩-ـــ ، ـــ ،المدخل إلى علم الإنسان ، مطبعة العاني ، ١٩٧٥ .

٢٠-السامرائي ، د. عبد الله سلوم ، الله والإنسان ، آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٢١-سعفان ، د. حسن شحاته ، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٢٢- ابو مصلح، د.عدنان ،معجم علم الاجتماع ،دار اسامة للنشر، دار المشرق الثقافي،الطبعة الاولى ،٢٠٠٦.

٢٣-الصدر ، الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) ، فلسفتنا ، الطبعة الثانية ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٨ .

٢٤-الصحاح ، مختار ، تأليف محمد أبن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ .

٢٥-الطاهر ، د. عبد الجليل ، مسيرة المجتمع ، الدار العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٢٦-ماكيفر ، شارلز بيرج ، المجتمع ، الجزء الأول ، ترجمة علي أحمد عيسى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٢٧-ماكري ، دونالد ، ماكس فيبر ، ترجمة أسامه حامد ، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٢٨- مرسي ،سيد عبد الرحيم ،الفرد والمجتمع في الاسلام ،مكتبة وهبة ،الطبعة الاولى،القاهرة ،١٩٨٥.

٢٩-النوري ، د. قيس ، المدخل ، علم الإنسان ، الموصل ، ١٩٨٥ .

٣٠-ـــ ، ـــ ، د. عبد المنعم الحسني ، النظريات الاجتماعية ، الموصل ، ١٩٨٥ .

٣١-ـــ ، ـــ ، مدارس انثروبولوجية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١ .

٣٢-هنري لوفيفر ، ماركس وعلم الاجتماع ، ترجمة بدر الدين قاسم الرفاعي ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧١ .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/414-437

٣٣-الـوردي ، د. علي ، طبيعـة المجتمـع العراقي ، مطبعـة العاني ، بغداد ، ١٩٦٥ .

٣٤-وصـفي ، د. عـاطف ، الانثروبولوجيـا الاجتماعيـة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨١

٣٥-السـالم ، خالـد عبـد ارحمـن ، الضـبط الاجتمـاعي والتماسك الاسري،الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠.

٣٦-الجـابري ،خالـد فـرج ،دور مؤسسـات الضـبط فـي الامن الاجتماعي ،بيت الحكمة ،١٩٩٧.

٣٧-الخريجـي ، عبـد الله ،الضـبط الاجتمـاعي ،الطبعـة الثانية ، جدة ،١٩٨٢.

٣٨-الزحيلـي ،محمد ، حقـوق الانسـان محـور مقاصـد الشريعة ،الطبعة الاولى ، الدوحة ،٢٠٠٢.

٣٩-الاخـرس ، محمد صـفوح ،نمـوذج لاسـتراتيجة الضـبط الاجتمـاعي في الـدول العربيـة، الطبعـة الاولى ،الريـاض ،١٩٩٧.

٤٠-الحامـد ،محمد معجـب ،دور المؤسسـات التربويـة غيـر الرسـمية فـي عمليـة الضـبط الاجتماعي،الريـاض ، ٢٠٠٥.

٤١-العـادلي ،فـاروق محمد ،دراسـات في الضـبط الاجتمـاعي ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ،١٩٨٥.

٤٢-علـي سـليم ،سلوى،الاسـلام والضـبط الاجتمـاعي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الاولى ، القاهرة ،١٩٨٥.

٤٣- ناصـر،د ابـراهيم ،علـم الاجتمـاع التربـوي ،دار الجليل ، لبنان ،١٩٧٩.

٤٤- دبـاب ،د.فوزيـة ،نمـو الطفـل وتنشـئته ،دار النهضـة ، القاهرة ،١٩٧٩.

ب : المراجع باللغة الإنكليزية

٤٥-Lowell – D. HOLMES , Anthropolog An introduction , the Roland press company , 2th . edi , 1971 .

٤٦-MALINOWSKI , B. Magic , Science and Religion and other essays , the free press , 1948 .

٤٧-MARX , KARL , Selected Writings in Sociology and Social philosophy + ranslated by + .B Bottomor , LONDON , MC CRAW – Hill , 1969 .

٤٨-Royal Anthropological tnstitute of great Britian bth . edi , LONDON 1951 .

ج: الصحف والمجلات

٤٩-مجلة الشرق الأوسط .

٥٠-صحيفة الأهرام .

٥١- ابو حوسة ،موسى ، قواعد الضبط الاجتماعي عند الماوردي ،المجلة العربية للعلوم الانسانية ، جامعة الكويت العدد١٧، ١٩٨٥ .

ABSTRACT

The entitled research (the role religion in the social control and construction) includes the definition of religion and also the important definition's that define it, of which : "it is the spiritual relationship between man and what is worship – ed and the practice of the rituals and rites related to that worship ".

activity which has drived the primitive man to stick to his her religion despite the prevalence of the materialistic side nowadays.

This has been confirmed by anumber of the anthropologists and sociologists like mackiver and surgun and others who stress an stickling to religion . Finally , the researcher has answered the following question : Is the prevailance of the materialistic matters over the non materialistic ones leads to the disappearance and vanishing of the religions values in the classical social milieu ?.

The answer is negative (no) depending on a number of opinions and thoughts set in this respect by the anthropologists and sociologists .

This means that sticking to the religions values has its impact on the behavior of the individuals and the need is still standing to religion so long as the secrets of the uviuers are still vague to man .

The research , also , states the opinions of the anthropologists and sociologist concerning the religions belief starting with IBN-KHULDON passing through the sociologists like AUGUST COUNT , DURKIEM also the anthropologists like MALINOWISKI , RADCLIF BROWN , BROST , ROBERTSON SMITH and ending with the opinions of SURGEN , MARX and MAX WEBER and others .

This research also draws a prolonged manifestation of the most important functions that the religion performs in society , the first of which is that religion is the most important restraint that governs the individuals behavior and directs them correctly according to what the society needs . Also spreading the spirit at joint liability and solidarity among the individuals , and fighting the crime and corruption and ethical decomposition , etc.. of the functions that give religion effective activity in social construction .

The analytic descriptive method has been used in this paper . This means that this research is a theoretical analytic study of the religious order within the whole one from a functional perspective .

The research he is com up with the conclusion that need for religion is suit standing and in the some level of